

من يرمز الجماعة الهامية السبئية للدولة الموحدة. اذ سجلت
المصادر قريبا منهم بعدة شهادات خاصة بها ساكنة سبئية
على الموحدين، فكانت الموحدين ارادوا من خلال سيطرتهم
على المقابر البحرية ان يقطعوا الطريق على زعماء
السبئيين اذا صار غبوا في البحر تطال يقوى خارجية
"ممكن ان تقدم لها النجدة عن طريق البحر".

وعليه، فقد كانت المدينة القاعدة الرئيسية لاسطول
الموحدين وفيها يربط القائد ابن جامع وابن ميمون،
وان دورها التجاري لم يتحقق لها الا بعد القرن الرابع
الهجري/العشر الميلادي، وذلك لعدة اعتبارات منها:

الجغرافية ابن حوقل الذي دون سماته عقب
زيارته للمدينة، هي معلومات حول سبئية يكتنفها غموض
كثير، وهذا جعل اعداء الراسين يعتبرها ورد عند صاحب
"صورة الارض" رغم اهميتها، يصعب توجيهه لمدينة
يعينها نظراً لطابع العمومية الذي طبع الكتاب كما
ان البكري في مسالكه لم يهتم الاطلاقاً بالمدينة، ولم
يورد معلومات حول النشاط التجاري للمدينة وقتئذ.
وهو ما يبعث على الاعتقاد ان مساهمة سبئية في
التجارة البرية على الاقل بين شمال المغرب والاندلس
كان باهتاء وقد تكون الظروف عدم الاستقرار التي
شهدتها المنطقة والعراق الاموي الفاطمي ذات
مسؤولية عن هذا الخفوت لمدينة سبئية.

ونبقى مع البكري الذي يشير الى ان سبئية كان
يربطها بغاس خزان تجاريان، واذا علمنا اهمية
غاس كمحطة تجارية مهمة في التجارة الصحراوية
امكننا ادراك اهمية سبئية كمركز تجاري تنطلق
من خلاله غاس بالعالم المتوسطي، انه ان كان هو ان
لمدينة لم تتخذ الصيغة التجارية الا مع قلاذ هجري
314 م وما بعده، اي مع قيام الدولة المرابطية والموحدية
والطربسية، اذ كانت المدينة على اتصال كبير
بالمدن التجارية في المتوسط سواء المدن المرابطية او مع
أرغون او الجنوب الغربي

16 أبريل
1991

ودائماً في إطار مدينتنا عن مدينة سيبتة والمدن المحيطة بها
من الناحية البحرية، بين مدينت طنججة التي أدت دوراً هاماً
في تاريخ المغرب القديم، وقد نوه غير واحد من المؤرخين
والجغرافيين بنشاط مرفئها سواء في عمليتها كمنفذ قلاع
وكذلك في إنشاء المراكب. حيث خضت مدينت طنججة الى
حاجب سيبتة ومراسي الريف بأبوابها مائة وعشرين
قطعة من مجموع اربع مائة قطعة أمر عبد المومن بن علي
بإنشائها في دور الصناعة المنتشرة في المرفأ وله نزل
وقد أكد دريسي ان المدينة كانت تفتأ فيها المراكب.

يعلب على الظن ان المدينة كانت تابعة لسيبتة،
ولكن لا تتوفر على معلومات مصدرية تدعم هذا الزعم،
ولعل الثقل التجاري الذي اوجع لمدينة سيبتة هو الذي فرض
على طنججة ان تكون تابعة لها، ولعل هذا ما قصد ابن خلدون
توضيحه لما تحدث عن المدينة وولائها لعمالة الجعربة
« مرفأ الاسطول ودار الاشياء ومرفأ المجاز »

وعليه فقد اهتمت الدولة المغربية الوسيطة
بطنججة، فيوسف بن تاشفين وإبان استرجاعه ملوك
الطوائف به، فانه لم يلب داعي الجهاد الا بعد ان أكد
على ضرورة السيطرة على سيبتة وطنججة، ونفس الشيء
قامت به الخلافة الموحدية، إذ ان المدينة تبين كانت
تؤمنان عمليتي عبور الجيش، وبالتالي كبر من ضبط القاعدة
الخلفية قبل الاقدام على أية متخا مراً غير مضمونة
للعواقب. بين الان نذكر

والجاذبة الى سيبتة وطنججة، فان الساحل الريفي
تضمن عدة مرفأ ومراسي منها القصر الصغير الذي عرف
بقصر محمود، وقصر المجاز، الذي تضرقت اليه
المصادر التاريخية والجغرافية كنقطة عبور نحو اندلس
وغيره من المراسي والمراسي. يورد ان معلوماً

تفيد أن هذا المرسى كان السكان يصنعون فيه المراكب، وهو
 ما جعلنا نحدد هذا المرفأً ضمن دور الصناعة خاصة وأن
 الموقع جاء ضمن اهتمام الخليفة عبد المؤمن بمر الريف
 الذي خصه بإنشاء 120 قطعة بحرية. كما أن الموحدين
 لم يهتموا في التركيز على سبب في عمليات جوازهم
 إلى أنه نزل كما كان الحال زمن المراكبيين، وإنما حاولوا
 تنويع واعداد مراكز العبور، فأتخذوا على عهد المنصور
 والتأخر من قصر المجاز أهم نقطة للجواز إلى أنه نزل
 ولا شك أن الخلافة الموحدية كانت تتركز في
 موقعه (قصر المجاز) هو أقرب نقطة إلى الضفة الشمالية
 من البحر المتوسط.

أما مدينة تطوان أو تيطاويتي فإسها لم تقع بدور
 كبير في التاريخ البحري المغربي، وقد يكون عامل التخريب
 الذي تعرضت له المدينة في الحاراء الصراع الهاموي الهاموي
 دور في فقدان تيطاون أهميتها أمام مراكش
 مدينة سبتة لعل،
 وفي اتجاه الشرق ودائماً على ساحل الريف، وجدت
 عدة مراسي منها: مرسى باديس، نكور، عجلون،
 تارنا، ونا بريب، ونهرومة، وارشقول هذا بالافاء
 إلى مرسى مليلة [روسا دير الرومانه - مليلة الحالية]
 ومراسي ملوية: هرك، مكرط، مرسى الدار، والروقيصين ووادي
 البوشر والمزمنة.

دور الصناعة البحرية ومراسي المغرب الأوسط.

23/04/2019.

نهادف حسب المصادر التاريخية والجغرافية العديد
 من المراسي في المغرب الأوسط، أهمها: مرسى تنيس
 التي استشهدت تجار بحريون أندلسيون منهم أبو عائشة
 والتميم صهيبي وغيرهم سنة 262 هـ / 876 م.
 واتخذوا ميناءها مرسى لسفنهم يقصدونه إذا

اذا ما سافروا من اهل نديس لستاء و هعفاً ، وقد اُشَار
 الى هذا ابن حوقل بان هذا الميناء كانت به التجارة منزهة
 وقد اتفقت الروايات ان هول الوظيفة التجارية للمدينة
 وان اهل اهل نديس هم من الذين يحطون بالمرسى المذكور
 دون غيرهم وهذا ما جعلنا نخرج تساؤلات عديدة مثل
 ؟ هل كانت تنس قاعدة تجارية لمدينة تاهرت عند
 زمن حوقل ؟ وكذلك ما هو دور مدينة تاهرت
 ونفس في التجارة العمرانية ؟ ريو كد ابن عبد ربه الحفيد
 على غنى المدينة بمختلف انواع الزروع والاطعمة التي
 كانت تحمل الى نديس ونواحي المغرب وافريقية ، وهو ما
 يظهر دليلاً قوياً على ان المسالك البحرية بين جهات
 المغرب الاسلامي كانت مطروقة في اطار ما يعرف حالياً
 بالملاحة الداخلية أو للمساهلة .

اما مرسى هين فان البكري لم يخصه سوى
 بعبارة مقتضبة ولم يجعلها ضمن مراسي المغرب الأوسط
 ونفس القصور عنه بحده عند جانب الاستبحار الذي لم يشير
 للمدينة و النفس طاهب الروض [الميري] بوصفها بأنها مدينة
 بالمغرب جليله على البحر وشمالها تلمسان وهي بقرب
 ندرمت ، اما الوزان فيشير اليها بأنها مدينة قسي
 غاية الزخرفة والجمال ومرسأها في ماء من ناحية من
 جهة البحر ، وكانت المدينة تتاجر مع السندقية التي كان
 "حقوق" تجارها ارباحاً في تجارتهم مع تلمسان ، وبالتالي
 كانت هين الواحة التي تمكن تلمسان من ان تقال
 بها هي المدن التجارية في الغر المنتوسطة .

أما وهران فهي احدى أسس البحر في نديس
 بالاتفاق مع سكان المنطقة ، وقد اُشَار ابن حوقل
 رئيساً لها اذ أنه دهم من الرياح بسبب استدارة
 الجبال به ، ومن خلال روايت طاهب الروض هو طاهب
 وصف افريقيا يوضح ان للمدينة ميناء يمتد احداهما
 صغير ملتصق وبالقرب غير آمن والآخر كبير ترسو به السفن

الكبيرة حيث يتسع طائفت المراكب والسفن الحربية. وقد كان المرسى الكبير مكاناً آمناً تقصده السفن عند اضطراب البحر وكثرة الانواء، وقد عرف ميناء وهران زمن العبدري تراجعاً كبيراً حتى نشأ له ولعل ذلك بسبب محثرة الاضطرابات التي شهدتها إفريقيا الإسلامية حينئذ، لكن سرعان ما تستعيد المدينة نشاطها فلما انت تطرقها السفن الجنوبية والبنديقية للتجارة.

ومن المراسي القريبة من وهران ان نذكر قصر الغلويس ومرسى ارزيو وشرشاي ولغانية [Ghamia] وجزائري مزغنة التي اساد البكري بمسائها الجيد التي كانت تشتهر فيه المراكب، وقد اعادنا صاحب الاستعمار معلوماً مهمة حول المنطقة الخلفية للمدينة [يسمى كذلك طهير المدينة] حيث كان سهل [يسمى] صيدحة يوفر للمدينة حاجياتها من المواد الزراعية التي تستهلك المحلي وكذلك للتصدير.

استخدم الموحدون ميناء المدينة إبان تجهيزهم لحملة عسكرية ضخمة استهدفت القضاء على ثورتي بني غانية وذلك بغربهم في غردارهم وهم "جعلنا نستنتج أن ميناء بني مزغنة كان ذات أهمية كبيرة وامكانية استيعاب الأسطول الموحد الذي تعدت عدد قطعه أربع مائة وحدة بحرية، وعليه يمكننا أن ندرج هذه المرسى في الحار القواعد التي انتم بها الموحدون نظرًا لقربها من معقل بني غانية في جزر البليار، وهذا يدل على وعي [خطة - محافظ الختم] استراتيجي صوب قبيل الخليفة الموحد الناصر الذي فضل الانطلاق بالأساطيل من القواعد البحرية جزائري مزغنة عوض القاعدة الرئيسية سبتة.

بالإضافة لمرسى جزائري مزغنة، يمكن الحديث عن مرسى الدجاج الذي اعتبره البكري مرسى غير آمن

نظراً لضعفه وقرب قعره، وتبقى مدينته بحماية أهم
قاعدة في المغرب له وسطاً. فقد استأدت المطارد
بجانبها حيث بنيت على جبل شاهق، ولعل هذه
الضمانة هي التي ملئت في عهد عدم السقوط في قبضة
القبائل الهلالية التي انحلت من ما تبقى من حكم الزيانيين
إلى الساحل ولا يجد ابلغ من نص له يستعار. الذي جاء فيه
"وطريق القلعة إلى تلمعة مما أدى على عقاب وأعمار، وكذلك
طريقها إلى الشرق، وليس لها طريق سهلة إلا من
جهة الغرب، فلم يكن للعرب إليها سبيل... فدخلها
أفراد وفرسان دون عسكر، فبقي صاحب بحاية في
ملك شاهق وعزباً في فتح".

والى جانب هذا تؤكد المطارد على أهمية قلعة بحاية
ودار ضاعتها وقد ساعدوا على ذلك توفرها على غطاء غابوي
لتيغ وفرتها الخشب اللازم لبناء السفن، هذا فضلاً عن
توفرها على الحديد والقطران.

في كان مينا، المدينة مطروقة من طرف تجار الروم والنام
والمصريين ومنه كانت تنطلق عمليات الغزو نحو طنجينة،
ونحو أسبانيا والاندلس، كما شكلت المدينة محور الفراع
بين القوى الموحدية الحربية والمعارضة من بني غانية
ولعل استسلام المدينة بدون مقاومة لبني غانية
يوضح لابع العلاقات التي كانت تربط بحاية بحزر
السليمان، إلا أن الموحدين سرعان ما تمكنوا من استعادة
قوة أسطولهم من أرغام المدينة على العودة إلى
تغزو وسلطة الدولة الموحدية.

وإذا ما في المغرب له وسطاً إلى الشرق من بحاية
فجد مرسى جبل الذي انظر سمانه إلى
مقادرته ليستقر في موقع حصين من الجبل المطل
على الميناء إذا كان الوقت صيفاً خوفاً من أن تغادهم
سفن [أسطول] روجا الثاني Roger II الذي

"تمكن في هذا الوقت من دخول عدة مراسي من بلاد
أفريقية ولا ينزل السكان الى المراسي الا اذا كان فصل
الشتاء.

ولعل هذا السلوك يوضح لنا أمرًا أساسيًا يتعلق
بمواقيت التجارة والقرصنة التي تنشط فيها العمليات
التجارية والحربية والقرصنة، اذ غالبًا ما تصادف في المصادر
والدراسات الحديثة ان فصل الشتاء يكون فترة راحة
للأسطول، ولا تنشط الملاحة الا مع بداية الفصل
الدافئ [المعتدل صافياً]

وبالحفاة الى مرسى جيجل ~~التي~~ يمكن ادراج مرسى
القل الذي كان منفذ هدية قسنطينة الى البحر المتوسط،
ثم مرسى بونة. وهكذا يتضح ان المغرب الاوسط توفّر
على قاعدتين بحريتين رئيسيتين هما جزائره بني مزغنة
وجاية، مدينتان ارتبط تاريخهما العاقل بالدولة الموحدية
التي استطاعت ان تتجاوز الحدود التي وقفت عندها
الدولة المرابطية في بلاد المغرب.

دور الصناعة ومراسي بلاد المغرب الأدنى

توفرت بلاد افريقية على قاعدتين بحريتين رئيسيتين
هما تونس والمهدية ومراسي اخرى اولها:
مرسى الخرز الذي كان مرفأ مدينت طبرق او طبرقة،
وفيه دار الصناعة التي كانت توفّر المراكب الحربية التي
تغزو بلاد الروم، وتعدّ رابط سكان هذا الميناء باستخراج
المرجان الذي كان يحمل الى بلاد الهند والصين، والمتميز
هنا المرباجات الحما جانب مرجان سببة من اجود انواع المرجان
المستخرج من البحر المتوسط.

اما مرسى بنزرت فقد صنفه ابن سفيان
من المراسي الشتوية، كانت تقصد المراكب اذا ما